

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعَةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ ثَقَافَةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَغْيِ مَهْدَوِيَّ زَهْرَائِيٍّ رَاقٍ

بِرَنَامَجِ

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرْنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتُهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (16)

يَوْمَ السَّبْتِ

بِتَارِيخِ: 28 شَهْرِ رَمَضَانَ 1438 هـ

الْمُوَافَقِ: 2017/6/24 م

يا زقراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برنامج قُرْآنُهُم

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الجزء الثالث عشر)

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطْ وَفَقَطْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

وصلنا إلى الآية الحادية والخمسين من سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الآية هذه جاءت استمراراً في تعابيرها مع الآية التي سبقتها، الآية السابقة هي الآية الخمسون بعد البسملة من سورة الأعراف: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ومرّ الحديث في الآيات السالفة الذكر، فماذا قال أهل الجنة لأهل النار بعد أن طلب أهل النار منهم (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)؟ قالوا لهم: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من هم هؤلاء الكافرون الذين تتحدث عنهم هذه الآيات؟

هل هم ينكرون وجود الله؟ أبداً، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ هؤلاء أناس عندهم دين، ولكنهم اتخذوا هذا الدين لهواً ولعباً، هم لم ينكروا وجود الله، هذا أولاً.

ولم ينكروا دين الله، قالوا: (إن الله له دين فيما بيننا) ولكن كيف تعاملوا مع دين الله هذا؟

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ من هم أصحاب النار؟ أصحاب النار هم الجمليون، (وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ) والحديث هنا ليس عن أعيانهم الشخصية التي كانت في الواقعة، وإنما الحديث عن منهجية، (وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ) فإنَّ الجمل كان شيطاناً كما بينت كلمات المعصومين، الحديث عن منهجية هنا.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أساساً هؤلاء ماذا قالت الآيات السابقة؟ قالت: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ هذه قضية مستحيلة، فطلبوا الماء وطلبوا الرزق، فكان الجواب: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهؤلاء الكافرون ما هم الذين عبدوا الأصنام الحجارة، ولا هم الذين عبدوا الحيوانات الأبقار، هذا الحديث عن الجمليين ومن على شاكلتهم.

مَنْ هُمُ الْجَمِيلُونَ؟

وَمَنْ هُمُ الَّذِينَ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ؟

أولئك الذين نقضوا بيعة الغدير أولاً، قد يكونُ النقضُ عسكرياً، وقد يكونُ النقضُ علمياً، الخروجُ على إمام الزمانِ قد يكون عسكرياً وقد يكون علمياً، والخروج العلمي على إمام الزمان هو نقضُ بيعة الغدير ونقضُ شرطها، فالشرط المأخوذُ علينا في بيعة الغدير: (أن نأخذ التفسير من علي وأن نأخذ الفهم من علي) فإذا ما تحركَ متحركنا باتجاه آخر كي يأخذ تفسير القرآن، لأنَّ القرآن هو رسالةُ الله إلينا، ماذا نريد أن نُعبّر عنه؟ هو كتابنا؟ نعم هو كتابنا، هو دُستورنا؟ نعم هو دُستورنا، هو مصدرٌ من مصادر معارفنا، بل هو المصدر الأكمل إذا ما أخذنا معه حديث العترة، هو المصدر الأكمل وحصرياً ولا من مصدرٍ آخر.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوَاً وَلَعِباً﴿ فهؤلاء عندهم دين ولكنهم كيف تعاملوا مع هذا الدين؟ تعاملوا مع هذا الدين بهذه الطريقة: لهواً ولعباً.

هذا التعبير: (اللهو واللعب) له أكثر من دلالة، له أكثر من معنى، لكننا نحن والآية، فالآية ربطت ما بين الدين وبين معنى من معاني اللهو واللعب.

فقطعا ليس المراد من اللهو واللعب هنا المعنى الطفولي للهو واللعب.

وقطعا ليس المراد من اللهو واللعب هنا الفوضوية.

والمراد من الفوضوية هو أن نتحرك من دون هدف ومن دون تخطيط، أي عمل يتحرك فيه الإنسان من دون هدف ومن دون تخطيط، حتى لو كان الهدف بسيطاً، ولو كان التخطيط بسيطاً وساذجاً، فهذا هدفٌ وهذا تخطيط، على سبيل المثال: لو أنَّ شخصاً كان جالساً في غرفة، وفي هذه الغرفة مجموعة من الأثاث والأغراض قد وُضع بعضها فوق البعض الآخر وانتشرت بحيث أنَّ ساحة الغرفة ليست فارغة، الحركة فيها تحتاج إلى انتباه وإلى التفات كي لا يصطدم الإنسان بهذه الأغراض، فإمّا يؤذي نفسه، وإمّا يؤذي هذه الأغراض، يؤدّي إلى إتلافها، فإذا أراد أن يخرج من هذه الغرفة، عليه أن يحدّد الهدف، أن يخرج من هذا الباب أو من ذلك الباب، إذا افترضنا أنَّ للغرفة بابين، فهل يخرج من هذا الباب أو من ذلك الباب حتى يتحرك باتجاه أحد البابين، ولابدَّ أن يفكر كيف سيتحرك حتى يصل إلى الباب لكي لا يصطدم هو بالأغراض فيؤذي نفسه أو يؤدّي إلى تمزيق ثيابه أو يؤدّي ذلك إلى إتلاف الأغراض، هذا العمل عملٌ بسيط ولكن من دون تحديد الهدف ومن دون تحديد المخطط للوصول إلى الهدف ستحدث الفوضى، المراد من الفوضوية هي هذه، الفوضوية: العمل من دون هدف ومن دون تخطيط.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوَاً وَلَعِباً﴾ فلا المراد المعاني الطفولية، ولا المراد المعاني الفوضوية، ولا المراد، الحديث هنا عن دين، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوَاً وَلَعِباً، وأجواء السورة تؤخّذ من عُنوانها: (الأعراف) ومرّ علينا كيف أنَّ السورة عرضت لنا مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾

والتفاصيل التي مرّت علينا في الحلقة المتقدّمة، ومرّ الحديث أيضاً أنّ هذه الآية: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ مفكّ من المفكّات، ومدار الآيات في هذا الجو.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ هذا الدين الذي جعل لهواً ولعباً هو في مواجهة فهم، أو في مواجهة دين، قلّ ما تشاء، فهم الدين بشكل خاطئ يجعل منه ديناً آخر، لذا نجد هذا في كلماتهم الشريفة: إذا جاء إنسانٌ وحرف فكرةً من الأفكار، وحرف عقيدةً من العقائد، وحرف سنةً من السنن، حكماً من الأحكام، ماذا يقولون؟ ما هذا على ديننا، ما هذا على دين محمد وآل محمد.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ هؤلاء وضعوا هدفاً، ووضعوا مخطّطاً، ووضعوا برنامجاً، مثلما جاء في بعض الروايات حينما يسألون الأئمة صلوات الله عليهم، في زمن الإمام الصادق مثلاً، عن فرقة من الفرق، والإمام يذمّ تلك الفرقة، وحين يقارنها مع فرقة أخرى فماذا يقول؟ أولئك عندهم فقه وفتوى، يعني نظّموا أمورهم، ولكن هؤلاء لا شيء عندهم.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ وضعوا ديناً وأحكاماً وأفكاراً وتفسيراً، مثلما جرى بعد النبي صلى الله عليه وآله، نشأ دين السقيفة وأكثر الناس ممن يقولون نحن من أهل القبلة هم على هذا الدين.

وأشياء أهل البيت إلى يومنا هم القلّة، ومع ذلك نشأت ونشأت ونشأت تشقّقات وتفرّعات داخل هذا الوسط الشيعي، ولو رجعنا إلى جذورها لوجدنا أنّ المشكلة أيضاً تعود إلى نفس هذا الجذر، إلى جذر (اللهو واللعب).

مثال بسيط جدّاً: معلّم في الصفّ وقد جلس الطلّاب على مقاعدهم وجلس المعلّم على كرسيه وأمامه المنضدة التي يضع عليها كتبه، دفاتره، أوراقه، إلى غير ذلك، الكتاب الذي يدرس فيه أو الدفتر الذي كتب فيه المعلومات، موضوع على الطاولة، ولأمر ما خرج المعلّم من غرفة الدرس، حينما يقوم التلامذة ويريدون أن يقرأوا ما في دفتر المعلّم أو ما في هذا الكتاب الذي وضع عليه إشارات ورموز وعلامات هو يعرفها، هل يستطيعون أن يعرفوا ماذا قصد المعلّم من ملاحظاته المكتوبة في هذا الدفتر؟ لن يستطيعوا، قد يقولون شيئاً، قد يصلون إلى شيء، ولكن ما هو بصحيح.

فلنفترض أنّ المعلّم غاب ولم يأت، الأقوياء أو أشخاص بمواصفات معيّنة من بين الطلّاب سيجلسون، مجموعة، شخص واحد، عند طاولة الأستاذ، ويبدأ هو الذي يشرح للطلّاب ما يريد، قد يكون لهذا الطالب محبة في قلوب الطلّاب فالأكثريّة توافقه، أو ربّما يخشونه ويخافون سطوته، إلى غير ذلك.

النتيجة ما هي؟ النتيجة أنّ هذا الكتاب بحاجة إلى نفس المعلّم.

أو أنّ المعلّم يختار أحداً منهم كان قد درّبه وكان قد فهمه، مثلما قال رسول الله: (عليّ هو الذي يفهمكم من بعدي) هؤلاء من السنّة أو من الشيعة حينما يتركون مفسّر القرآن الحقيقي: (العترة) ويذهبون يركضون

إلى جهات مختلفة، من السَّنة أو من الشيعة على حدٍّ سواء، هؤلاء تركوا المعلم وتركوا الذي قد انتخبه المعلم كي يعلم الطلاب في غيابه، هذا هو اللهو واللَّعب، بالضبط هو هذا اللهو واللَّعب.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

ما المراد "غرَّتْهم الحياة الدنيا"؟

(الحياة الدنيا) هذا المصطلح وهذا العنوان يشتمل على كُلِّ تفاصيل الحياة، فحين نتحدَّث ونقول: (الحياة الدنيا) إنَّها السياسةُ بكُلِّ تفاصيلها وبكُلِّ آثارها، الآثار الإيجابية والآثار السلبية، إنَّها الاقتصادُ بكُلِّ تفاصيله، اقتصادُ الدول، اقتصادُ الأثرياء، اقتصادُ الفقراء، اقتصادُ المدينة، اقتصادُ القرية، اقتصادُ الرِّحل بين الصحاري والجبال، الحياةُ الدنيا: سياسةٌ، اقتصادٌ، صحَّةٌ، طبٌّ، دواءٌ، علاجٌ، زينةٌ، تفاخرٌ، تكنولوجيا بكُلِّ ما أنتجت، مدينةٌ، حضارةٌ، حروبٌ وعسكرتاريا، مخدراتٌ ومافيا، جرائم بكُلِّ أشكالها، رجالٌ، نساءٌ، شبابٌ، شيبٌ، ولدانٌ، جامعاتٌ، تطوُّرٌ علمي هائل، مؤسساتٌ تبحثُ في الفضاء، ومؤسساتٌ تبحثُ في البحار، الحياةُ الدنيا بكُلِّ ما فيها من فرحٍ، وحزنٍ، وابتناساتٍ، ودموعٍ، وخوفٍ، وأمنٍ، وسجونٍ، وتعذيبٍ، وحريةٍ و...، هذه الحياة الدنيا، وكُلٌّ واحدٍ منا بحسبِ إمكاناته وبحسبِ طموحاته يلتصقُ بجانبٍ منها، لا يستطيعُ أحدٌ أن يلتصقُ بكُلِّ هذه الجوانب، في بعض الأحيان نلتصقُ بهذه الجوانب اختياراً، نحنُ نختارها، وفي بعض الأحيان اضطراراً، الاضطرار مرةً ينشأ من داخلنا لحاجةٍ عندنا، ومرةً الظروف من حولنا، الظروف الاجتماعية، الظروف الاقتصادية، الظروف السياسية، هي التي تضغطُ علينا فتفقدنا إلى أن نلتصقُ بهذه الجهة أو بتلك الجهة من كُلِّ هذه المساحات الواسعة في هذا العالم الذي عبَّرَ عنه القرآن بالحياة الدنيا، ﴿وَعَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فحين نلتصقُ بجهةٍ من جهات الدنيا، الدنيا تُنسِينا، هذا هو معنى غرَّتْنا الحياة الدنيا، غرَّتْنا يعني خدَعَتْنا.

كيف خدَعَتْنا الحياة الدنيا؟ الحياة الدنيا هكذا تخدَعُنا: نلتصقُ بجانبٍ منها، اختياراً، اضطراراً، لحاجتنا، لغير ذلك، نحنُ أبناء الدنيا ونحنُ نحبُّها، الله سبحانه وتعالى حين خلقنا جبلنا على حبِّ الدنيا، إذا لم نُحب هذه الدنيا فإنَّنا لن نستطيع أن نواصل العيش فيها، سنَهْمِلُ أنفسنا، سنَهْمِلُ صحتنا، سنُلقي أنفسنا في المخاطر، عاملُ التأمين لحياتنا في هذه الحياة هو حبنا للدنيا.

الذي بسبب ضغطِ نفسي لا يُريدُ البقاء في هذه الحياة، ربَّما ينتحر، وربَّما يفعلُ شيئاً آخر يكون قريباً من الانتحار، وربَّما يلغي حياته بطريقةٍ وأخرى، كهذا الذي مثلاً يَدْمِنُ على المخدراتِ فراراً من آلام الحياة التي يعيشها، وبالتالي يتحوَّلُ إلى كائنٍ حيٍّ وميتٍ في نفس الوقت، لا هو بكائن حيٍّ، ولا هو بكائن ميتٍ، ذلك المدمِنُ الذي أدْمَنَ على المخدراتِ ولا يستطيع أن يفارقها، هو في حالة تخديرٍ على طول الخطِّ.

حبنا للدنيا هو عاملُ التأمين لحياتنا، لأنَّنا نُحبُّ الدنيا نحافظُ على عوائلنا، لأنَّنا نُحبُّ الدنيا نبني أسراً وبيوتاً، لأنَّنا نُحبُّ الدنيا نسعى في أعمالنا، لأنَّنا، لأنَّنا، لأنَّنا، كُلُّ التفاصيل في حياتنا أساساً إذا أردنا أن نبحث عن جذرها، هي بسبب حبنا للدنيا، بغضِّ النظر عن أنَّ هذه التفاصيل التي أتحدَّثُ عنها كانت في المسار السليم أم لم تكن في المسار السليم، المخطئ والمصيب يُحبَّان الدنيا، الضالُّ والمهتدي يُحبَّان الدنيا، الكافر والمؤمن

يُحِبُّانِ الدُّنْيَا، المسلم، المسيحي، الهندوسي، الجميع يُحِبُّونَ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الدُّنْيَا هُوَ الْعَامِلُ الْأَسَاسُ لِكَيْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَسْتَمِرَّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، أَنَا هُنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ وَلَكِنْ جَذَرُ هَذَا الْحُبِّ هُوَ فِي جَبَلَتِنَا، نَحْنُ مُجْبُولُونَ عَلَيْهِ، اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْجَدَهُ فِينَا، وَلِذَا نَلْتَصِقُ بِجَانِبِ مِنَ الدُّنْيَا.

فَإِذَا مَا التَّصَقْنَا بِجَانِبٍ مِنَ الدُّنْيَا، مَرَّةً نَحْنُ نَعْرِفُ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهِنَا لَا نَسْتَطِيعُ هَذِهِ الدُّنْيَا أَنْ تَخْدَعَنَا أَوْ حَتَّى لَوْ خَدَعَتْنَا فَإِنَّ خُدَاعَهَا سَيَكُونُ مُحَدُودًا، وَلَكِنَّا إِذَا جَهِلْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَالتَّصَقْنَا بِهَا وَخَدَعَتْنَا، فَإِنَّ خُدَاعَهَا سَيَكُونُ بَاهِضَ الثَّمَنِ، قَدْ لَا نَلْمَسُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا نَلْمَسُهُ فِي الْآخِرَةِ، رُبَّمَا نَلْمَسُ أَجْزَاءً مِنْ بَاهِضِيَّةِ الثَّمَنِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا، وَرُبَّمَا أَصْلًا لَا يَمْلَسُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ جِزَاءً، يُوَاجِهُ الْحَقِيقَةَ، يُوَاجِهُ لَحْظَةَ الصَّدَقِ الَّتِي مَرَّ الْكَلَامُ عَنْهَا حِينَمَا يُفَارِقُ هَذِهِ الدُّنْيَا.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ غَرَّتْهُمْ؛ خَدَعَتْهُمْ، فَحِينَمَا نَلْتَصِقُ بِهَا تُنْسِينَا هَذِهِ الدُّنْيَا، نَنْشَغِلُ بِهَا، إِذَا انْشَغَلْنَا بِهَا، وَشَيْءٌ طَبِيعِي حِينَمَا أَنْشَغِلُ الْآنَ بِهَذَا الْبَرْنَامِجِ فَإِنِّي سَأُنْسِي بَقِيَّةَ شُؤُنَاتِ حَيَاتِي، فَأَنَا مُنْشَغِلُ الْآنَ بِهَذَا الْبَرْنَامِجِ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُوَدِّيَ شَيْئًا آخَرَ، ذَهْنِي وَأَفْكَارِي وَتَوَجُّهِي بِالْكَامِلِ إِلَى هَذَا الْبَرْنَامِجِ، فَهُوَ الْآنَ بِعِبَارَةٍ دَقِيقَةٍ: هُوَ قَدْ أَنْسَانِي الْأُمُورَ الْآخَرَى حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ هَذَا الْبَرْنَامِجِ، الدُّنْيَا لَا يُمْكِنُ الْفَرَاغُ مِنْهَا إِلَّا بِالْمَوْتِ، لَا يُمْكِنُ، الْفَرَاغُ مِنَ الدُّنْيَا يَكُونُ بِالْمَوْتِ أَوْ بِمَعْرِفَتِهَا، حِينَ نَعْرِفُ هَذِهِ الدُّنْيَا، (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِرَجُلٍ خَيْرًا بَصَرَهُ بِعُيُوبِ الدُّنْيَا) وَلَكِنْ هَذَا الْمَعْنَى تَوْضُحُهُ رَوَايَةٌ ثَانِيَّةٌ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِرَجُلٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ) "فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ" هَذَا الْمَعْنَى تَشْرُحُهُ رَوَايَةٌ ثَالِثَةٌ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِرَجُلٍ خَيْرًا جَعَلَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ) هَذَا الْأَمْرُ وَلَايَةُ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ، هَذِهِ الْمَعَانِي مُتَنَاسِقَةٌ الْبَعْضُ مَعَ الْبَعْضِ الْآخَرِ، أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، أَنْ يَكُونَ مُفَقِّهًا وَمُتَفَقِّهًا فِي دِينِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ، أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِعُيُوبِ هَذِهِ الدُّنْيَا، مَا كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ، هُوَ: (اللَّهُوُ وَاللَّعِبُ).

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَالسَّيِّئِينَ مِنْ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ تَعْرِيفٌ وَاضِحٌ لِهَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي نَعِيشُهَا، مَاذَا تَقُولُ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - (الْحَيَوَانُ) مَثْنَى (حَيَاة) كَلِمَةُ حَيَاةٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَيْفَ تُثْنَى؟ حَيَاةٌ إِمَّا تُثْنَى: (حَيَاتَانِ) وَإِمَّا تُثْنَى: (حَيَوَانُ) حَيَوَانُ يَعْنِي حَيَاتَيْنِ، فَالْآخِرَةُ مَاذَا تَعْنِي؟ حَيَاةٌ وَحَيَاةٌ - وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ هَذَا التَّعْبِيرُ هُنَا عَنْ كُلِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِيهَا الْقَوَانِينُ، فِيهَا التَّشْرِيعَاتُ، فِيهَا الْمَوْسَّسَاتُ الْحَاكِمَةُ، فِيهَا الْجَامِعَاتُ، فِيهَا وَفِيهَا وَفِيهَا، الْحَيَاةُ الدُّنْيَوِيَّةُ مَا هِيَ قَوْضَى، يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ جَوَانِبُ قَوْضَوِيَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ بِالشَّكْلِ الْعَامِ لَا تَوْجَدُ قَوْضَى، الْآنَ حِينَمَا نَدْخُلُ إِلَى أَيْ مَدِينَةٍ مِنَ الْمَدِينِ حَتَّى فِي الْبُلْدَانِ الْفَقِيرَةِ أَوْ فِي الْبُلْدَانِ الْمُتَخَلِّفَةِ، الْأَعْمُ الْأَغْلَبُ فِي الْمَدِينَةِ هُوَ شَيْءٌ مُنْظَمٌ، رُبَّمَا تَكُونَ هُنَاكَ قَوْضَى فِي بَعْضِ الْجِهَاتِ، وَلَكِنْ الْأَعْمُ الْأَغْلَبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ هُنَاكَ نِظَامٌ، وَمَعَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ يُعَبِّرُ عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمُنْظَمَةِ بِأَنَّهَا لَهْوٌ وَلَعِبٌ.

آخر آية من سورة العنكبوت من نفس السورة التي عرّفت الحياة الدنيا من أنها لهو ولعب، آخر آية وهي الآية التاسعة والستون: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هؤلاء يجدون طريقاً في الحياة يخرج عن هذا الوصف، القرآن هنا يصف الدنيا بكل تفاصيلها باللّهُو واللّعب.

وفي سورة الأعراف هذه الآية: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ يصف الأديان باللّهُو واللّعب، الأديان يمكن أن تكون لهواً ولعباً، مع أن الأديان فيها منظومة متكاملة، هناك مؤسسات دينية، هناك زعامات دينية، هناك رجال دين، هناك طقوس، هناك كتب، مدارس، أحكام، في كل الديانات على اختلافها، ومع ذلك القرآن يتحدث عن هذه الديانات المنظّمة من أنها لهو ولعب.

وكذا الحال الحديث عن الدنيا: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ هناك طريق في هذه الحياة يلتقي هذا الطريق مع الدين الذي ما هو بلهو ولا لعب: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ الذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا.

إذا نذهب إلى سورة الأعراف، حين كان الحديث عن الظالمين: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَدِّنٌ -المؤدّن علي- فَأَذِّنْ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هذا في الآية الرابعة والأربعين من سورة الأعراف، ما الذي جاء بعد هذه الآية؟ من هم هؤلاء الظالمون؟- الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ هؤلاء هم الذين سيكون دينهم لهواً ولعباً.

أما الذين سيتخلّصون من هذه الحالة هم هؤلاء: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

في سورة طه يأتي التفصيل واضح جداً، في الآية الثانية والثمانين: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ -لمن؟- وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ الأبواب الأربعة، هكذا سميت في أحاديث أهل البيت، لن ينجو الناجي إلا أن يكون من أصحاب الأبواب الأربعة.

هذه هي الأبواب الأربعة: (تَابَ، آمَنَ، عَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى).

فهل كان ضالاً حينما تاب؟!

وهل كان ضالاً حينما آمن؟!

وهل كان ضالاً حينما عمل صالحاً؟!

ثُمَّ اهْتَدَى، ذلك هو التأويل.

"تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا" هذه مرحلة التنزيل.

"ثُمَّ اهْتَدَى" في مرحلة التأويل.

فأولئك الَّذِينَ كانوا في زمانِ النبي صَلَّى الله عليه وآله، تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات، لكنهم لم يهتدوا، إِلَّا أولئك الخواصَّ الَّذِينَ عَرَفُوا الحقيقةَ منذ البداية، لكن الحديث عن عموم الأمة، عموم الأمة بشكلٍ رسمي أعطيت لها الهداية بشكل واضح في بيعة الغدير.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، (ثُمَّ) هذه مرحلة جديدة، تلاحظون حرف العطف الواو كان موجوداً في السابق: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ - هذا في مستوى واحد، ثُمَّ انتقلنا إلى مستوى آخر - ثُمَّ اهْتَدَى﴾ لن أفسر لكم الآية إِلَّا من زيارات أمير المؤمنين، روايات كثيرة عندنا بصدد هذه الآية، هذه آية من الآيات المركزية في القرآن، هذه آية مركزية على ضوئها نستطيع أن نفهم الكثير والكثير من مضامين القرآن، هذا رمز من رموز القرآن، مفك من مفكات القرآن، مفتاح من المفاتيح، سَمَّ ما شئت.

هذا هو مفاتيح الجنان، وأنا أقرأ من الزيارة الغديرية لسيد الأوصياء، وهي من أهم زيارته الشريفة، هي الأخرى كما الزيارة الجامعة الكبيرة مروية عن عاشر الأئمة عن إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، ماذا جاء في الزيارة الغديرية ونحن نخطب سيد الأوصياء: (وَأَنَّهُ -الضمير هنا يعود على رسول الله بحسب السياق المتقدم في الزيارة- وَأَنَّهُ الْقَائِلُ لَكَ -الخطاب هنا لأمر المؤمنين وأن رسول الله القائل لك- وَأَنَّهُ الْقَائِلُ لَكَ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ، فَالْكَفَرُ هُنَا الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ هُوَ هَذَا، الْآيَاتُ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنِ الْكُفْرِ: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ -والآيات السابقة- فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ الكُفْرُ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ هَذِهِ الْآيَاتُ وَغَيْرَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ هُوَ هَذَا الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا: (وَأَنَّهُ الْقَائِلُ لَكَ -يا أمير المؤمنين- وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا آمَنَ بِي مَنْ كَفَرَ بِكَ وَلَا أَقَرُّ بِاللَّهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ).

نعود إلى نفس الآيات: ﴿فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ -من هم؟- الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أتلاحظون أن السورة من أولها إلى آخرها في هذا الجو العكوي؟ هؤلاء الَّذِينَ لعنهم المؤذّن، مَنْ هُوَ المؤذّن؟ (علي) هؤلاء هم الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

(وَلَا أَقَرُّ بِاللَّهِ مَنْ جَحَدَكَ، وَقَدْ ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَيَّ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِكَ -العبارة دقيقة جداً- وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَيَّ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِكَ، وَهُوَ قَوْلُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ماذا يقول رسول الله في الزيارة؟ ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وَلَايَتِكَ).

فالآية: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى عَلِيٍّ، إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ، قطعاً إذا أردنا أن نراعي الدقّة في الكلام، فالهداية إلى علي هي غير الهداية إلى ولاية علي، ذلك شيء آخر.

الهداية إلى ولاية علي هي بابٌ يوصلنا إلى الاهتداء إلى علي، لأننا حين نهتدي إلى علي فقد ولجنا من الباب إلى مدينة العلم والإيمان واليقين والحكمة، إلى مدينة الفيض الإلهي، وهناك المراتب والمراتب لا تنتهي، وتلك المراتب إمّا هي في معرفة علي، على أي حال.

أعود إلى سورة الأعراف وإلى الآية الحادية والخمسين: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ من خلال كُلِّ هذه الآيات المراد هنا من هذا الدين الذي وُصِفَ بأنه لهوٌ ولعب، حينما يُؤخَذُ من غيرِ عليّ، بعد كُلِّ هذه البيانات:

فتفسير من غير عليّ إنه لهوٌ ولعب.

وفقه من غير عليّ لهوٌ ولعب.

وصلاة من دون عليّ لهوٌ ولعب.

هذا في أحسن الأحوال، وهذا المعنى ينطبق على من يقول: (إني سنيّ) وعلى من يقول: (إني شيعي) على حدّ سواء، الأمر هو هو.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ - فما الذي سيواجهونه؟ لا زال الحديث عن يوم القيامة - قَالِيَوْمَ - هذا اليوم الذي كان الرجال على الأعراف - قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا - هل أن الله ينسى؟! إن الله لا ينسى، (قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) اليوم نتركهم، لا شأن لنا بهم - قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿ والآيات هم آل محمّد، ما هي آيات الكتاب، آيات الكتاب في ألفاظها وفي جمّلها هي صورة صامتة عن الآيات الناطقة، فالحديث عن الآيات الناطقة وليس عن الآيات الصامتة، وإذا افترضنا أن الحديث عن الآيات الصامتة فإن الآيات الصامتة هي عنوانٌ يشير إلى الآيات الناطقة.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

الرواية عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه، وأنا أقرأ من الجزء الثالث من تفسير البرهان: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَنْسَى وَلَا يَنْسَهُ، وَإِنَّمَا يَنْسَى وَيَنْسَهُو المَخْلُوقُ الْمُحَدَّث - أنا وأنتم - أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) وَإِنَّمَا يَجَازِي مَنْ نَسِيَهُ وَنَسِيَ لِقَاءَ يَوْمِهِ بِأَنْ يَنْسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) أَي نَتْرَكُهُمْ كَمَا تَرَكُوا الاستعدادَ لِلِقَاءِ يَوْمِهِمْ هَذَا.

إنهم قد نسوا أنفسهم ونسوا ماذا سيلقون، فتركوا الاستعداد لهذا اليوم، ونحن سنخليهم وأنفسهم، لا شأن لنا بهم، سنتركهم، وحينئذ ماذا سيفعل الإنسان؟ حينئذ سيفعل الفوضى بكُلِّ معناها في نفسه، وحينئذ سيعبث بنفسه، ويعبث بمقدّراته، ويعبث بما سيؤول إليه من عاقبة أمره.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ - مَنْ هم؟ هؤلاء الَّذِينَ اتَّخَذُوا دينهم لهواً ولعباً، هؤلاء الَّذِينَ اتَّخَذُوا دينهم لهواً ولعباً نحنُ ماذا فعلنا لهم؟ هكذا يقول القرآن- ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ - جئناهم بكتاب هذا الكتاب قد فُصِّلَتْ فيه الحقائق، كتابٌ فُصِّلَتْ آياته، هذا الكتاب كتابٌ بَيَّنَتْ آياته، كتابٌ أَحْكَمَتْ آياته، هو هذا الكتاب الَّذِي جِئْنَاهُمْ بِهِ- ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لكنَّهم كيف تعاملوا معه؟ تعاملوا مع هذا الكتاب أن قالوا: (حسبنا كتاب الله) قالوا حسبنا كتاب الله وهم لا يملكون الوسائل والآليات لفهمه أو للتعامل معه، المشكلة أين؟ المشكلة في تأويله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وهذا هو جزء من مرحلة التأويل، فهم القرآن بالنحو الصحيح هو جزء من منظومة التأويل، وإلا فالتأويل الَّذِي ذَكَرَهُ رسولُ الله وأنَّ عليّاً يقاتلُ على التأويل، ذلك هو الدينُ بكلِّ تفاصيله وأجزائه، المنظومة الكاملة الشاملة العامة الَّتِي القرآنُ جزءٌ منها والَّتِي تأويلُ القرآنُ جزءٌ منها.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لو أَنَّهُم اتَّجَهُوا إلى هذا الكتاب بالشكل الصحيح، بالنحو الصحيح، لو رجعوا إلى القرآن وسألوا القرآن، هم قالوا: (حسبنا كتاب الله) القولُ العَمَرِيَّةُ الشهيرة، لكنَّهم حتَّى هذه الكلمة لم يلتزموا بها، لم ينفذوها، لو رجعوا إلى القرآن، القرآنُ يَنْبِئُهُمْ بشكلٍ واضح:

أولاً: يَنْبِئُهُمْ في حُرُوفِهِ المَقْطَعَةِ أَنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا فَهْمَهَا.

فإذا لم يَسْتَطِيعُوا فَهْمَ جزءٍ من القرآنِ فَإِنَّ الفَهْمَ الَّذِي سَيَصِلُونَ إِلَيْهِ سَيَكُونُ خَاطِئاً، لماذا؟ لأنَّ المعطيات ناقصة، حينما تكون مُقَدِّمات البحث ناقصة، النتائج ستكون ليست سليمة، ليست صحيحة.

القرآن نفسه أيضاً لو رجعوا إليه يسألونه عن الجهة الَّتِي تعرفه وتعرف حقيقته، سورة آل عمران بَيَّنَتْ هذه الحقيقة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

ولو أرادوا أن يسألوا القرآن عن الراسخين في العلم، القرآنُ أيضاً بَيَّنَّه، أنا لستُ بصدد الحديث عن هذا الموضوع، لأنَّ هذا سيدخلني في تفاصيل كثيرة، ولكنَّهم لو رجعوا إلى القرآن لاهتدوا وما صار دينهم لهواً ولعباً، وهذا هو الَّذِي يقوله أهل بيت العصمة: (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَنَا مِنَ الْقُرْآنِ - وَالْأُمَّةُ يُوْجَّهُونَ هذا التوجيه إلينا، إلى شيعتهم- مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَنَا مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَتَنَكَّبِ الْفِتَنَ) فحينما نأتي ونسأل القرآن والجواب قد يكون مُفْصَلاً.

الخلاصة ما هي؟

القرآن سيقودنا إلى علي، إلى ذلك الإمام الَّذِي أَحْصِيَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ.

هناك إمام في القرآن أَحْصِيَ في هذا الإمام كُلَّ شَيْءٍ، القرآن يقودنا إلى هذا الإمام، هذا هو الَّذِي يُفَسِّرُ لنا القرآن، ويشرح لنا رسالة الله، وماذا يريدُ الله منَّا في رسالته هذه.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لو أنهم رجعوا إلى العالمين بهذا الكتاب، لأنَّ هذا الكتاب لم يكن كتاباً أدبياً للشعر أو للحكاية أو لأي مطلب آخر يتمكن الإنسان من الوصول إليه، هذا الكتاب صلة بين عالم الغيب والشهادة، وفيه علم هذا العلم علم رابط بين عالم الغيب والشهادة، فلا بد أن يكون هناك من متخصص عالم يستطيع أن يفكك لنا ما في هذا الكتاب من الأسرار والمعارف، لو أنهم فعلوا ذلك لما تحول دينهم إلى لهو ولعب.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ - لو اتجهوا في الاتجاه الصحيح لوصلوا إلى هذا الوصف - هدى ورحمة لقوم يؤمنون - هذا هو الهدف من هذا الكتاب، الهدف من هذا الكتاب، النتيجة النهائية من هذا الكتاب: الهداية والرحمة - وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ - لأي شيء؟ - هدى ورحمة لقوم يؤمنون.

الآية التي بعدها: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ الحديث هنا عن تأويله، ليس الحديث هنا عن بيانات لغوية، وإنما الحديث عن تفسير كوني للقرآن، أن حقائق القرآن تتحقق على أرض الواقع، ومتى يتحقق هذا المعنى أن حقائق التأويل تتكامل؟ بينت فيما سلف من الحلقات السابقة من أن مرحلة التأويل بدأت منذ غدير خم وهي في حالة تكامل وتسام إلى هذه اللحظة، حتى في زمان الغيبة هناك نحو من التكامل والتسامي في مرحلة التأويل هذه، قد يسبح مجال للحديث عن هذا، ونحن في حالة تكامل باتجاه يوم الخلاص، يوم التأويل الكامل.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ - هل ينظرون إلا تأويله؟ هل ينتظرون، المراد من "ينظرون" هنا من النظرة، النظرة تعني الانتظار - هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء؟ "رسل ربنا" الحديث هنا ليس عن الأنبياء فقط، (الرسل من الله) هذا العنوان ليس محصوراً بالأنبياء فقط، الأنبياء رسل، والمرسلون رسل، والملائكة رسل، والأوصياء والأئمة رسل، وحتى هذه الكتب هي رسل، حتى هذا القرآن هو رسول، وكل ما يأتينا من سبب يجعلنا في حالة تواصل مع الله سبحانه وتعالى ينطبق هذا العنوان عليه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

في كلمات أهل بيت العصمة الآية هنا تتحدث عن قيام القائم، هكذا جاء في رواياتهم الشريفة: (هل ينظرون إلا تأويله) ذلك هو قيام القائم، قيام إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ - يوم يأتي القيام - يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء؟ هؤلاء الذين نسوا إمام زمانهم.

نسوا إمام زمانهم، إن كان أولئك من أهل القبلة، من غيرهم، من السنة، من الشيعة، من أي مجموعة من المجموعات، النسيان لإمام زماننا على مراتب:

النسيان لإمام زماننا قد يكون إنكاراً له.

النسيان لإمام زماننا قد يكون جهلاً به.

النسيان لإمام زماننا قد يكون جفاءً.

النسيان لإمام زماننا قد يكون تقصيراً، كما هو حالنا، نحن في حالة نسيان لإمام زماننا، مع أننا لا نجهل به، لا نجهل بعنوان إمامته مرادي، وإلا فنحن جاهلون بحقيقته صلوات الله عليه، فنحن لا نجهل به، لا نجهل إمامته، ولا نُنكر إمامته، ولا نُعاديهِ، ولكننا في حالة نسيانٍ له.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ هذا التأويل هو تأويل الكتاب وهو تأويل الدين، باعتبار أن الآية السابقة ماذا قالت؟ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾ - ما وصل إلينا من الحقائق ها هي علامته ومعامله قد بدت - ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ - هل لنا شفعاء فيشفعوا لنا عند إمام زماننا - أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قد يقول قائل: هذه العبارة قد تُشعر من أن الآية ترتبط بيوم القيامة، نعم، وهذا ورد في الروايات، فالآية لها أكثر من دلالة، وآيات القيامة في تفسير أهل البيت تُفسر باتجاهين:

تُفسر باتجاه قيام القائم.

وتُفسر باتجاه قيام القيامة.

هذا واضح لمن أراد أن يراجع حديث أهل بيت العصمة في تفسيرهم للكتاب الكريم.

كما بينت لكم ان الآيات القرآنية التي تتحدث عن القيامة في ضوء منهجية تفسير أهل البيت للقرآن تأخذ اتجاهين في معناها:

- اتّجاهٌ يعطي الآية معنى يرتبط بقيام إمام زماننا.

- واتّجاهٌ يعطي الآية معنى يرتبط بقيام يوم القيامة.

والاتّجاهان صحيحان، قد يختلفان في جانبٍ ولكنهما يلتقيان في جانبٍ آخر، وقيام القائم هو الآخر عبّر عنه بالقيامة، هو قيامة، هو مرتبة من مراتب القيامة، لكنها في الدنيا وليست في الآخرة.

فقيام القائم الدولة المهدوية الممتدة من يوم الخلاص إلى زمان جنة الدنيا التي هي دولة محمد صلى الله عليه وآله، هذه كلها يمكن أن يطلق عليها قيامه الدنيا.

وقيامة الآخرة تلك هي التي لها أشرافٌ وخصائصٌ معينة وإمّا تكون بعد نهاية عمر الدنيا.

نحن والسياق العام للآيات المتقدمة، والحديث كله في أجواء الأعراف، في أجواء محمد وآل محمد، فإنني أذهب بهذا الاتجاه: باتجاه قيام القائم صلوات الله وسلامه عليه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ﴾ "نُرَدُّ" يعني أن نُرَدَّ إلى زمان الغيبة، كان من المفترض أن نعمل في زمان الغيبة،

لأنَّ الَّذِينَ سَيَفُوزُونَ عند ظهور الإمام، أولئك الَّذِينَ نصرُوا الإمام في زمان الغيبة، الَّذِينَ لم يَنصروا الإمام في زمان الغيبة لن يُوَفَّقُوا لنُصْرَتِهِ عند الظهور، والنُّصرة تبدأ من (النِّية) الروايات هكذا حدَّثتنا، نية الولاء لإمام زماننا، ونية الانتظار، ونية البراءة من أعدائه، هو هذا لونٌ من ألوان نُصرة إمام زماننا، قد يكون أضعف الإيمان، ولكن هذا نصر لإمام زماننا صلواتُ الله وسلامه عليه، من لم يكن ناصراً لإمام زمانه في الغيبة لن يُوَفَّق، قانون التوفيق يحول فيما بينه وبين نُصرة الإمام عليه السلام.

ما نجدُه في الأحاديث الشريفة أنَّ كثيراً من النَّاس سيُكونون (نُظَّارة) مثلما تحدَّث الآن أحداث في مكان معيَّن ونحن فقط جالسون في بيوتنا أو في محالِّ أعمالنا نراقب الأحداث عبر التلفزيون، هذا الأمر نفسه سيحدث، وللكتيرين، الكتيرين من شيعة سيُكونون نُظَّارة، وحتى من سائر الشعوب الأخرى، لكن الحديث عن أجوائنا الشيعية، فالكثير من شيعة ممن يقولون: نحن من شيعة، سيُكونون نُظَّارة، يعني متفرجين، لماذا؟ لن يُوَفَّقوا، لماذا لن يُوَفَّقوا؟ لأنَّهم ما نصرُوا الإمام الحجة في زمان غيبته، ليس هناك من فارق بين أن يكون الإمام حاضراً أو غائباً، نحن أتباعه ملزمون بنُصْرته، وكلَّ بحسبه، من لم ينصر الإمام في زمان الغيبة لن يُوَفَّق لنُصْرته في زمان الظهور.

لذلك الروايات تتحدَّث عن المؤمنين الَّذِينَ سيعودون راجعين في زمانه: (من محضوا الإيمان) محض الإيمان قطعاً كان يعمل، وإلا كيف صار محضاً للإيمان؟! لماذا الَّذِينَ محضوا الإيمان هم فقط الَّذِينَ سيرجعون مع الإمام الحجة؟ لماذا؟ في هذا المقطع لن يرجع مع الإمام الحجة إلا من محض الإيمان، ربَّما تكون جموع أخرى في مقاطع أخرى، مرحلة الرجعة مرحلة وسيعة فسيحة، وطويلة المدة جداً، لكن في مقطع ظهور إمام زماننا صلواتُ الله وسلامه عليه الراجعون فقط هم الَّذِينَ محضوا الإيمان، وقطعاً في الجانب الثاني الَّذِينَ محضوا الكفر، لكن الحديث عن الَّذِينَ محضوا الإيمان، لماذا فقط الَّذِينَ محضوا الإيمان هم الراجعون؟ لأنَّهم كانوا في زمان الغيبة عاملين، كانوا يعملون.

ولماذا أناس يعايشون فترة الظهور وهم متفرجون من شيعة أهل البيت؟ لأنَّهم لم يكونوا قد عملوا شيئاً، لم يكونوا قد جاءوا بشيء في زمان غيبته، ولذا هنا يتمنون أن لو هناك من شفعاء يشفعون لهم عليهم يستطيعون المشاركة في نصرة إمامهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ - قِيَامُ الْقَائِمِ - يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

الآية التي بعدها وهي الآية الرابعة والخمسون، هذه الآية بعد كُلِّ تلك البيانات تريد أن تقول: إنَّ كُلَّ شيء يجري بنظام، ماذا تقول هذه الآية؟ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قطعاً هذا عنوان، (السماوات والأرض) هو عنوان، عنوان الوجود، وإلا لماذا هذا التركيز على الأرض مع أنَّ الأرض لا تُشكِّل شيئاً في السماوات؟ لأنَّ الإنسان مهووس بها، مشغول بها، وهو خليفة عليها، وأوسع شيء يراه: الأرض من حوله والسماء من فوقه، وما يراه من سماء هو خيال، لأنَّ هذا اللون لونٌ عابر، هذا اللون الأزرق

جاء عبر الانكسارات الضوئية في الغلاف الغازي المحيط بالأرض، وإلا فلا يوجد لون أزرق أساساً، هذه عملية انعكاس للون المياه التي تُشكّل مساحة أكبر في الكرة الأرضية من اليابسة، وبسبب عمليات الانكسار الضوئي التي تحصل في الغلاف الغازي.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وهذه الأيام ما هي كأيامنا، في ستة أيام؛ في ستة مراحل، في ستة مقاطع، في ستة مراتب، سم ما شئت، لكن قطعاً ما هي بأيام كأيامنا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حقيقة العرش ما هي؟ نحن نجهلها، ذكرُوا في كتب التفسير ما ذكروا عن العرش، وتحدثت الفلاسفة والعرفاء والصوفية عن هذا المعنى، وحتى الروايات جاءت فحدثتنا، وما جاء في الروايات تقريباً للمعاني بحسب أذهاننا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الاستوائية على العرش عنوانٌ يشير إلى (التسلط والتنظيم) فهذا الوجود محكوم بسلطة نافذة في كل جانب منه، ومحكوم بنظام وبقانون.

وحدة النظام، وحدة النظام من أدل الأدلة ومن أفضلها على وجوده سبحانه وتعالى وعلى وحدانيته، على أنه موجود قادر وأنه واحد، واحد أحد.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ -وهنا الآية تُعطينا صورة من صور هذا النظام- يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً فكأن الليل يأتي يغطي النهار، وكأن الليل يتحرك سريعاً وراء النهار، لأي شيء؟ كي يغطي هذا النهار، فكأن الليل هو بمثابة غطاء، بمثابة غشاء.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ -حثيثاً يعني سريعاً، مستعجلاً، عاجلاً- وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ إشارة إلى التسلط والنظام والتنظيم، الآية كلها تتحدث في هذين العنوانين: التسلط، السلطة، الحكم النافذ القوي، والنظام، نظام موحد مبني على أساس الحكمة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ: الخلق يعني كل شيء، يعني ما نراه وما لا نراه، ما يرى وما لا يرى، وحين أقول ما يرى، المراد من هذا العنوان يعني العوالم السفلية، يعني العوالم الطبيعية، يعني عوالم الشهادة، وحين أقول ما لا يرى ليس بالضرورة أن نراه، الأجزاء الصغيرة في هذا الوجود نحن لا نراها، نحن لا نرى الذرات والجزيئات التي تتكون منها المادة، ولا نرى الخلايا وما فيها في أبداننا وأجسامنا إلا عبر وسائل ووسائط.

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾: الخلق والأمر ما يرى وما لا يرى، ومرادي "ما يرى وما لا يرى": تكويناً وتشريعاً.

ومرادي من التشريع ليست الديانات لبني البشر في الأرض، مرادي من التشريع: القوانين، قوانين الكون، وتأتي الديانات جزءاً من هذه التشريعات لتنظيم حياة بني آدم.

باعتبار الآيات فيما سلف تحدّثت عن قصّة أبينا آدم: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ وفي قصّة أبينا في سورة البقرة والقصّة واحدة الإشارة صريحة جدّاً لهذا الدين ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ كفروا، هو نفسه الكفر الذي تقدّم الحديث عنه، وكذبوا بآياتنا؛ هي الآيات الناطقة، هي هي.

أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ: ما يرى وما لا يرى في عالم التكوين وفي عالم التشريع، في عالم التقدير وفي عالم الفعل والتمثيل، هناك إشارة في الزيارة الجامعة الكبيرة تشير إلى ولايتهم المطلقة الإلهية، ها هو مفاتيح الجنان وأنا أقرأ من الزيارة الجامعة الكبيرة، فماذا تقول؟

(وَنُورُهُ وَبَرّهَانُهُ عِنْدَكُمْ - نحن نخطبهم صلوات الله عليهم - وَنُورُهُ - نُورُ الله - وَنُورُهُ وَبَرّهَانُهُ عِنْدَكُمْ وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ - لذلك - مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى الله وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى الله...) إلى آخر ما جاء في الزيارة الشريفة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْبُئُهُ حِثِّثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

الآية بكلّ أجزائها تتحدّث عن السّلطة وعن النظام وعن التنظيم، وهذا المحور محور واضح في مضامين سورة الأعراف، من البداية الحديث عن جهة منصوبة من قبله، وهذه الجهة المنصوبة من قبله هؤلاء هم الأعراف، فهناك سلطه وهناك تنظيم، ومثلما هناك أعراف في الآخرة، هناك أعراف في الدنيا، نفس المعنى الذي بينه إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه للمفضّل بن عمر حين سأله عن الصراط المستقيم، فقال: (هما صراطان: صراط في الدنيا هو الإمام المعصوم، وصراط في الآخرة جسر ممدود على جهنّم، من عرف هذا الإمام في هذه الدنيا، من عرف هذا الصراط جاز على ذاك الصراط، من لم يعرفه وأنكره فإنه سيهوي في قعر جهنّم) الكلام واضح جدّاً، هناك سلطه وهناك نظام، وهذا المعنى موجود في سورة الأعراف من أولها إلى آخرها.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ بحسب ما جاء عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: (ادعوا ربكم جهاراً وخُفْيَةً).

أمّا كلمة "خُفْيَةً" فواضحة، لكن "تَضَرُّعاً" كيف صارت جهاراً، إعلاناً؟ التضرّع ما هو؟

التضرّع: هو خضوع وتذلّل وتوسّل ليس في القلب وإمّا في القلب لكنّه ينعكس على اللسان وعلى أعضاء البدن، هذا هو التضرّع، فهذا يشير إلى الإعلان، يشير إلى الإظهار، حينما هناك لفظ لساني وهناك انعكاسات فعلية على مظهر الإنسان، على حركته الفيزيائية والجسدية، فهو ظاهر وهو علني.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فكأنّ الذي لا يدعو هو يعتدي، نعم هو يعتدي، قد تقول: كيف يعتدي هذا الذي لا يدعو؟ الدعاء ليس مطلوباً بألفاظه، الدعاء مطلوب بمضمونه،

الدعاء إنما يصدر من القلب حينما يكون القلب منكسراً، وفي الأحاديث القدسية: (أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ) حينما يكون القلب منكسراً يكون مؤهلاً للدعاء، هذا لا يعني أننا نترك الأدعية حتى لو كانت في حدود القراءة والتلفظ، هذا شيء وهذا شيء، الدعاء في حقيقته هي هذه، هي حالة من حالات التواصل مع الغيب ولكن لابد من انكسار القلب، فحينما يكون القلب منكسراً يكون مؤهلاً للدعاء والمناجاة، هذا هو المعنى الحقيقي للدعاء.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فحينئذ يستشعر الإنسان معنى الافتقار، وإذا استشعر الإنسان معنى الافتقار فإنه سيستشعر معنى النعمة التي من الله بها عليه، وإذا ما استشعر الإنسان النعمة التي من الله بها عليه فإنه سيتوجه إما بالشكر أو بالتملق أو بالخضوع أو على الأقل لن يكون متكبراً في الساحة الإلهية، لأنَّ الكبر هو رداء الله سبحانه وتعالى، فمن أراد يشاركه فيه سيذله، الذي لا يعيش هذه المعاني سيكون جافياً لله سبحانه وتعالى، وسيكون متكبراً في ساحة العبودية، وهذا قد اعتدى على حقوق الله، هو في الحقيقة ما اعتدى على حقوق الله، هو اعتدى على نفسه، ولكن كل شيء هو عائد إلى الله سبحانه وتعالى، فهذا معتد، هذا يتصرف كما يريد، ويأكل كما يشتهي، ويحصل على ما يتمنى من دون أن يستشعر فضل الله عليه.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الإنسان بحاجة إلى الدعاء علناً وسراً، وكما قلت: ليس المراد من الأدعية الألفاظ، الألفاظ في الأدعية طقس، الأصل في الأدعية انكسار في القلب، هذا هو الأصل، ولن يحصل الانكسار من دون العمل الصادق، العمل الصادق والعمل المخلص هو الذي يعين الإنسان أن ينال الانكسار في قلبه.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بشكل مستقيم وسريع أذهب إلى حديث أهل البيت، ماذا يقولون في هذه الآية: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾؟ حين نقول (إصلاح) يعني كانت فاسدة وأصلحت، الآية ماذا تقول؟ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ هي كانت فاسدة فأصلحت، فالآية تنهى عن إفسادها مرة أخرى، متى كانت الأرض فاسدة؟ كانت الأرض فاسدة قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله، فحين هل علينا محمد صلحت هذه الأرض وكمل صلاحها بعلي، كمل الصلاح بعلي.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أن تُنكروا ولاية علي، ما هي الأرض أصلحت، كانت فاسدة وأصلحت محمد وعلي، فلا تُفسدوا هذا الإصلاح، كيف يكون هذا الإفساد؟ هذا الإفساد بإنكار ولاية علي، بعبارة أخرى في أيامنا بإنكار إمامة إمام زماننا، والإنكار قد يكون مباشراً وقد يكون ليس مباشراً، أما الإنكار المباشر فهو واضح، إنكار إنكار.

الإنكار غير المباشر وهو الأخطر ما جاء في كلمة إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه: (طَلَبَ الْمَعَارِفِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَسَاقِقُ لِإِنْكَارِنَا) وهذا خطر جداً، هذا خطر جداً، وفعلاً في الواقع الشيعي هو هذا

الَّذِي يَحْصُلُ، أَنَّ الْمَعَارِفَ تُطَلَّبُ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ أَهْلِ الْبَيْتِ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَحْصُلُ فِي مَوْسَسَتِنَا الدِّينِيَّةِ، فِي مَرَاكِزِنَا الثَّقَافِيَّةِ، فِي مَجَالِسِنَا الْحُسَيْنِيَّةِ، فِي مَنَابِرِنَا، فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فِي الْحُوزَةِ وَالدراسة والدروس، فِي الْكُتُبِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ، فِي الْمَوْثَمَاتِ وَالنَّدَوَاتِ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْتِي بَعِيداً فِي مَصَادِرِهِ وَفِي نَتَائِجِهِ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ، هَذَا إِنْكَارٌ، (طَلَبُ الْمَعَارِفِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مُسَاوٍ - مُسَاوٍ - لِإِنْكَارِنَا).

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الأرض كانت فاسدةً فَأَصْلَحَتْ بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، لَا تَفْسِدُوهَا، مَا هُوَ شِعَارُ الْحُسَيْنِ؟ شِعَارُ الْحُسَيْنِ وَاضِحٌ: (إِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي) لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا، هَؤُلَاءِ الْجَمَلِيُّونَ أَفْسَدُوا الْأَرْضَ، هَذَا الْمَنْهَجُ الْجَمَلِيُّ، (وَالْجَمَلُ جَمَلُهُمْ) هَذَا الْمَنْهَجُ الْجَمَلِيُّ الْعَائِشِيُّ السَّقِيفِيُّ، هُوَ هُوَ الْيَزِيدِيُّ، هَذَا الْمَنْهَجُ هُوَ هُوَ بِنَفْسِهِ، فَكَانَ خُطَابُ الْحُسَيْنِ هُوَ هَذَا: (إِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي - التَّفَاصِيلُ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ؟- أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ - وَمَاذَا بَعْدَ يَا حُسَيْنَ؟- وَأَسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَيُّ عَلِيٍّ بِنِ أَيْ طَالِبٍ) هَذَا هُوَ الْإِصْلَاحُ، الْإِصْلَاحُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ هُوَ هَذَا الْإِصْلَاحُ الَّذِي جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالَّذِي فَسَّرَتْهُ أَحَادِيثُ أَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ.

أَلَا تَلَاظُونَ أَنَّ تَنَاسُقًا وَاضِحًا مَا بَيْنَ الزِّيَارَةِ وَالِدُعَاءِ وَالْقُرْآنِ وَمَا بَيْنَ أَفْعَالِ الْمُعْصومِينَ وَسِيرَتِهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامًا يُسَمَّحُ بِالتَّفْصِيلِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ لَحَدَّثْتُكُمْ وَحَدَّثْتُكُمْ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ الْكَثِيرَ.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ -أَيْضًا دُعَاءٌ، ادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا، هَذَا بَعْدَ الْإِصْلَاحِ- وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ مِثْلُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَأْتِي تَزْيِينًا لِلْمَوْضُوعِ، تَجْمِيلًا لِلْمَوْضُوعِ، هَذِهِ صُورٌ جَمَالِيَّةٌ فِي دَاخِلِ الْمَوْضُوعِ، مَوْضُوعُنَا مَا بَيْنَ (الْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ) فِي هَذِهِ السُّورَةِ، عُنْوَانُهَا: (الْأَعْرَافُ) مِثْلَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: (فَمَنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) هَكَذَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: (وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَنَا الْأَعْرَافَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ أَنْكَرْنَا وَأَنْكَرْنَاهُ دَخَلَ النَّارَ) هَذَا هُوَ الْمَضْمُونُ الْعَامُّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَحَتَّى فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَكِنِّي الْآنَ أَتَحَدَّثُ عَنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ الَّتِي عُنُونَتْ بِهَذَا الْعُنْوَانِ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ بُشْرًا؛ بَشَارَةً، وَبَشَارَةٌ إِخْبَارٌ عَنْ خَيْرٍ، وَلَيْسَتْ عَنْ شَرٍّ، إِذَا كَانَتْ إِخْبَارًا عَنْ شَرٍّ وَقِيلَ لَهَا بَشَارَةٌ فَإِنَّ الْبَشَارَةَ هُنَا بِمَعْنَى مُجَازِيٍّ، وَإِلَّا الْبَشَارَةُ تَكُونُ بِمَعْنَى الْخَيْرِ، مِنَ الْمَعْنَى الْمَفْرُوحَةِ، فَالْبَشَارَةُ مِنَ الْبَشَرِ، وَالْبَشَرُ هُوَ الْفَرَحُ، الْبَشَرُ: الْإِبْتِسَامَةُ، (لَقِيتُ فُلَانًا عَلَى بَشَرٍ) كَانَ مُبْتَسِمًا، أَوْ أَنَا كُنْتُ مُبْتَسِمًا إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ عَنْ نَفْسِي، لَقِيتُهُ وَهُوَ مُبْتَشِرٌ، كَانَ جَذْلَانًا، كَانَ قَرَحًا، كَانَ مُسْرورًا.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ السَّحَابُ الثَّقَالُ هُوَ السَّحَابُ الْمَاطِرُ، هُنَاكَ سَحَابٌ خُلِّبَ، يُرَى فِي الْفُضَاءِ، يُرَى فِي السَّمَاءِ، وَلَكِنَّهُ لَنْ يَمُطِرَ، وَأَمَّا السَّحَابُ الثَّقَالُ فَهُوَ السَّحَابُ الْمَاطِرُ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا﴾ رحمته أين تتجلى؟ تتجلى في الأرض، فهو يرسل الرياح، هذه الرياح كأنها تبشر برحمة الباري التي ستظهر على الأرض من خلال هذه السحاب الثقالة، فتلقي بمائها على الأرض وتبعث الحياة في الأرض.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ ما فيه من خضرة، ما فيه من حياة- فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ عبر التاريخ أين يسكن الناس؟ يبحثون عن الماء، الماء هو الذي يحدد مواطن الناس، مواطن السكنى، مواطن العمل، إلى هذه اللحظة حتى المصانع والمعامل في هذا الزمن التكنولوجي العجيب إلى الآن يحسبون حساب مواقع المياه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ تذكير بالمضامين المتقدمة، آيات السورة تتحدث عن ولاية وبراءة، عن دين حكيم وعن دين لهو ولعب، عن إيمان وعن كفر، ولكن في نهاية الحياة هناك موت، هذا الموت قد يأتي عذاباً مثلما مر على أمم تحدث القرآن في أوائل سورة الأعراف عنهم بالمجمل: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الآية هنا تتحدث عن البلد الطيب وما يخرج من نباته، وعن البلد الخبيث وما يخرج من أرضه، وفي روايات وأحاديث أهل البيت الأئمة يقولون: (مثل للإمام المعصوم الذي ينبت في الأرض الطيبة).

وختاماً أذكركم:

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَيْمَانِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

في أمان الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات
المتابعة
القمر
1438هـ
2017 م

برنامج قُرْآنُهُم... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv